

الوراثة والاكتئاب

من كتاب «الاكتئاب: المرض والعلاج»



د. لطفى الشربيني
استشارى الطب النفسى

دور الوراثة فى مرض الاكتئاب:

لعل أول ما يلفت الانتباه هو انتقال الاكتئاب عبر الأجيال، وهذا ما نلاحظه عند دراسة العائلات التى تتميز بوجود حالات متعددة لمرضى الاكتئاب، ومن خلال الدراسات النفسية فقد تبين زيادة نسبة الاكتئاب فى أقارب الدرجة الأولى للمرضى، وتؤكد أيضاً أن عدد الأفراد الذين يعانون من الاكتئاب فى أسرة المريض يزيد بمقدار ٣ أضعاف عن الأسر العادية، وهذا يؤكد العامل الوراثى فى مرض الاكتئاب، ويلاحظ كذلك وجود ارتباط بين الاكتئاب وبعض الاضطرابات النفسية الأخرى مثل الفصام، الصرع، الإدمان والتخلف العقلي، وفى هذا المجال يجب أن نتذكر أن الأطباء النفسيين حين يقومون بفحص حالات الاكتئاب لا بد أن يجمعوا معلومات حول الوالدين والأجداد والإخوة والأخوات والأبناء وكل أقارب المريض.

هل ينتقل الاكتئاب عبر الأجيال؟

قد شغل هذا السؤال علماء النفس، وقد حاولوا الإجابة على مسألة انتقال مرض الاكتئاب بالوراثة عبر الأجيال، ومن خلال الدراسات التى أجريت على التوائم الذين يعيشون معاً، أو ينفصل أحدهم ليعيش فى مكان بعيد عن الآخر تبين أن الاستعداد الوراثى للاكتئاب يوجد لدى التوأم بغض النظر عن الظروف المحيطة بهم مما يؤكد عاملاً وراثياً قوياً يؤدي إلى انتقال الاكتئاب بالوراثة عبر الأجيال. ويلخص كتاب «أكسفورد فى

الطب النفسى“ [Gelder, & Mayou, ١٩٨٤, pp ٢١٠-٢١٢] عدداً من الدراسات التى تشير فى مجملها إلى أن نسبة التشابه فى الإصابة بذهان الهوس والاكتئاب، بين التوائم المتطابقين الذين تربوا منفصلين ثم غير المتطابقين قد وصلت ٢٣٪. وهى نسبة تتماثل مع دراسات أخرى فى بريطانيا، وشمال أوروبا، وأمريكا الشمالية، هذا بالنسبة إلى اضطراب الهوس والاكتئاب المتكرر فى شكل نوبات. لكن الأمر فيما يتعلق باضطراب الاكتئاب كان مختلفاً، فقد كان تأثير العامل الوراثى فيها غير واضح بصورة قاطعة. بعبارة أخرى فقد تعذر وجود نمط وراثى واضح بالنسبة للاكتئاب الخالص بما فيه الاكتئاب العصابى، أو الاكتئاب الاستجابى، بما يشير إلى صعوبة وجود تفسير وراثى بسيط لكل أنواع الاكتئاب. فضلاً عن هذا لا يجب تجاهل العوامل الأخرى فنسبة التماثل التى تقع بين التوائم المتطابقة ممن تربوا معاً أو منفصلين لا تصل إلى ١٠٠، كما أن المتطابقين (أى ذوو الأصل الوراثى الواحد) ليست ذات دلالة. بمعنى أنه إذا أصيب بالاكتئاب أحد التوائم المتطابقة الذين نشأوا متباعدين، فإن الآخر لا يصاب به بالضرورة فى الحاضر أو فى المستقبل. وينطبق هذا على الاضطرابات النفسية الأخرى التى لا يزال هناك اعتقاد قوى، بأن العوامل الوراثية تلعب فيها دوراً أكبر حتى من الاكتئاب. وفى أبحاث أخرى تم تناول الصفات الوراثية، وطريقة انتقالها

يحاول كل من يتعرض لحالة الاكتئاب النفسى أن يجد سبباً واضحاً لذلك، فإذا فرض أن أعراض الاكتئاب بدأت بعد حدوث واقعة معينة مثل وفاة أحد الأعمراء أو مشكلة عاطفية أو خسارة مالية، فإننا فى هذه الحالة نقول إن هذا الحدث هو السبب المباشر فى حدوث الاكتئاب، لكن هناك الكثير من الناس يتعرضون لنفسى المواقف ولا يصابون بالاكتئاب، وعلى ذلك فإننا يجب أن نحاول فى كل حالة من حالات الاكتئاب تحديد السبب الحقيقى لحدوث هذه الحالة. وقد ثبت من خلال الدراسات النفسية أن هناك عاملاً وراثياً قوياً وراء الإصابة بحالات الاكتئاب، وحتى إذا ظهر المرض بعد التعرض لمشكلة معينة فإن وجود استعداد مسبق لدى المريض هو فى الغالب السبب الأساسى لإصابته بالاكتئاب، لذلك نقول إن الاكتئاب لم يكن سوى حلقة أخيرة فى سلسلة تفاعلات أدت فى النهاية إلى صورة الاكتئاب المعروف.

من الأبوين إلى الأبناء ومن جيل إلى آخر، وتم دراسة "الجينات" وهى المورثات التى تحتوى على شفرات بها معلومات دقيقة تفصيلية بكل الصفات الجسدية والنفسية التى يتم انتقالها من جيل إلى آخر، ولا بد أن نعلم أن هذه المسألة بالغة التعقيد، وتجلى فيها قدرة الخالق سبحانه، ولم يصل العلم بعد إلى كل أسرارها لكننا من الناحية العلمية يمكن لنا الاستفادة من هذه المعلومات فى التنبؤ فى حدوث الاكتئاب، والتخطيط للوقاية منه. وفى إحدى الدراسات العلمية التى تم إجراؤها بأسلوب الاستبيان بتوجيه أسئلة معينة تم اختيار مجموعة من مرضى الاكتئاب، من الرجال وتوجيه سؤال إلى كل منهم وإلى زوجة كل منهم هذا نصه: "لو أنك كنت تعلم عن حالتك ما تعرفه الآن هل كنت ستقدم على الزواج؟" والنتيجة أن ٩ من كل ١٠ من مرضى الاكتئاب كانت إجاباتهم نعم، بينما كانت إجابة زوجات مرضى الاكتئاب فى نسبة تزيد على ٥٠٪ منهم: "لا". ومن الظواهر الطريفة التى تؤكد وجودها من خلال الدراسات أن مرضى الاكتئاب يميل بعضهم إلى بعض عند الاختيار للزواج حيث يصدق المثل المعروف "الطيور على أشكالها تقع" أى أن مريض الاكتئاب يميل إلى من تشابه معه فى الصفات لتكون شريكة حياته وهذا يترتب عليه زيادة فرص إصابة الأبناء بالاكتئاب أيضاً، ومازال هناك الكثير أمام علماء الطب والوراثة ليتم كشف أسرار العوامل الوراثية فى مرض الاكتئاب النفسى.

